



شيء مما قرأته عن الحج

حسن الحاج

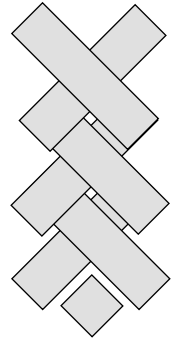
يأخذ بها، ليكون حجه كاملاً مبروراً،
وسعيه مقبولاً مشكوراً، ونافعاً في
إرساء دعائم الوحدة بينهم.. هذه
طاقة مما قرأت:

وجيزة تاريخية

في قراءة تأريخ فريضة الحج يتبين
لنامدى الانحراف الذي أصاب سلوك
الناس والافتراق والتنازع بينهم
حينما انحرفت مسيرتهم عن المسيرة
الحقة لمناسك الحج، والغاية التي كان
الإسلام يهدف إليها وهو يعيد الناس
إلى معرفة تلك المناسك وأدائها كما
أرادها الله تعالى، والمتمثلة بوحدتهم
ومنفعتهم وبقائهم.. وهانحن نشير
إلى شيء من ذلك الانحراف.. والعلاج
الذي أمر به الإسلام ليعود بالفريضة
إلى وضعها الطبيعي، لكي يؤدي الحج
دوره السليم في تأثيره في الناس تأثيراً
إيجابياً يترك بصماته في حياتهم بعيداً
عن التجبر والتعالي عن الآخرين

هذه مجموعة قراءات عن الحج
وحدة وتآلفاً وآمالاً وأنشطة وآراء
وأقوالاً مما وفقني ربي لقراءتها وإعادة
صياغة بعضها أو تلخيصها لتكون
أكثر مناسبةً وجمعاً ونفعاً، ونحن نطل
على ضيافة مباركة في أمكنة مباركة
وأيام معدودة، وعبر مناسك مقدسة
تضمّمها فريضة ربانية دائمة يقوم
فيها الناس بعبادة خالصة، عبادة
ما أجملها وأعظمها وأطهرها! وقد
ارتضتها السماء للناس وحددتها
بمفاصل موقوتة..

إنها فريضة الحج تلك الرحلة
المباركة، والمناسبة الميمونة، والسياحة
المحمودة، والتجارة الراجحة.. حتى
غدت ثمارها يانعة، فوائدها متعددة،
بركاتها متنوعة، دروسها مفيدة،
أسرارها بديعة، آدابها عظيمة،
أخلاقها قويمية، قيمها جمّة.. يحسن
بالحاج أن يقف عليها، ويحمل به أن



شأن الأمم إذا فسدت سرى الفساد في نواحي حياتهم، ودب في كل شيء منها وضلت عقائهم..

ثم جاء الإسلام ليعيدهم إلى منابع هذه التشريعات ومقاصدها حتى تتحقق لهم منافعها ومنها وحدتهم، وما يستحقونه من الثواب الجزيل حيث قال:

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ (١).

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا لِلَّهِ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ (٢).

وكما تدل هاتان الآيتان دلالة واضحة على أن هذه العبادة كانت موجودة قبل الإسلام، تدل أن قريشاً كانت تقف في الحج موقفاً دون موقف سائر العرب الحجاج الذي يقفونه، وكانت تفيض من مكان غير الذي يفيضون منه، وكل هذا كان ابتعاداً عن الأداء الصحيح

مهما كان وضعهم الاجتماعي.. وقد قرأت:

إن فريضة الحج تعود إلى عهد نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام، فهو أول من بنى البيت على التحقيق، وأول من طاف به مع ولده إسماعيل عليه السلام، وهما اللذان سألا ربهما سبحانه وتعالى أن يريهما أعمال الحج ومناسكه، قال تعالى:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

إذن تعبد الله تعالى ذرية إسماعيل بهذه المناسك وظلت باقية في العرب إلى عهد الإسلام الحنيف، غير أن العرب لما نسوا التوحيد وداخلهم الشرك، وتبع ذلك تحريف وتغيير في أعمال هذه العبادة، شأنهم في ذلك

بواعث طيبة

وحتى يحقق الحج غاياته وأهمها توحيد الصفوف المؤمنة وتآلفها.. وحتى يتم كل هذا وغيره من قيم الحج ومنافعه لا بد من الالتفات ثم الالتزام بما يبعث لتحقيق ذلك، ومن تلك البواعث التي قرأتها وأعجبت بها:

أولاً: أن يكون الحاج حريصاً على اصطحاب الرفقة الطيبة التي تعينه على الخير إذا تذكر، وتذكره بلخير إذا نسي، والتي يستفيد من جراء صحبتها العلم النافع، والخلق الفاضل، وأن يرفق بهم، وأن يستشيرهم، وأن يحسن عشرته لهم.. وأن يقوم الإنسان على خدمتهم بلا منة ولا تباطؤ، وأن يشكرهم إذا قاموا بالخدمة، وأن يتحمل ما يصدر من الرفقة من جفاء وغلظة ونحو ذلك، وأن يرى أن لأصحابه عليه حقاً، ولا يرى لنفسه عليهم

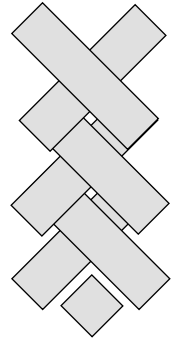
للمناسك وتعالياً على الناس.. وبالتالي تفقد الشعيرة هدفها ويحل مكانه الفرقة والتشتت.

نعم، ما أن أقر الإسلام الحج، وتمكن من تطبيق مناسكه بعد سنة من فتح مكة (سنة ٨ هجرية) أي في السنة التاسعة هجرية حتى أمر المسلمين بالعودة إلى أن يؤدوا مناسكهم بشكلها الصحيح وبالمساواة في الموقف والإفاضة، فقال تعالى:

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾.

وحيث كانوا يجتمعون في الحج بالموسم للفخر بالأحساب، وذكر شرف الآباء والأنساب، كانوا يذكرون أيامهم وأنسابهم تفاعراً بها.. فأمر الإسلام أتباعه أن يستبدلوا بذكر الآباء ذكر الله ذي الفضل والآلاء.. قال تعالى:

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ (٣).



حقاً؛ فذلك من كريم الخلال ومن حميد الخصال، ومما ترفع به الدرجات، وتحط به السيئات..

وأن يبتعد الحاج عن مشاجرة الأصحاب، ومخاصمتهم، فإن حصل شيء من ذلك فليبادر إلى الاعتذار، وإذا تعذر الاجتماع فالأولى أن يفترقا؛ لتسلم القلوب، ويتمكن كل واحد منهما من أداء مناسكه دونما تشوش أو قلق، وبعد ذلك تهدأ العاصفة، ويحصل الائتلاف.

وأن يحرص الحاج على ملاطفة أصحابه، وإدخال السرور عليهم خصوصاً الضعفة والنساء..

وأن يحرص الحاج على الالتزام بالمواعيد، وأن يتلطف بالاعتذار إن حصل خطأ أو تأخير، أو خلل، وأن يتحمل ما يصدر منهم من عتاب إذا هم عاتبوا، وأن يتقبل العذر من غيره إذا هم أخطؤوا بتأخر أو خلل، فذلك دليل سمو النفس، وبُعد الهمة،

وحسن المعاشرة، فالعاقل اللبيب الكريم هو من يتحمل أذى الناس، ولا يَحْمِلُهُمْ أذاه.. وأن يلزم السكينة، ويستعمل الرفق معهم فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أيها الناس! عليكم بالسكينة».

وقال ﷺ أيضاً: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه».

وعلى الحاج أن يحرص كل الحرص على راحة إخوانه الحجاج، وأن يبتعد عن كل ما فيه أذى لهم ويجذر أيضاً من أن يكون سبباً في أذاهم، كأن يرفع صوته، أو أن يزاحمهم، أو يضيّق عليهم، أو نحو ذلك.

ومما يجمل به أيضاً أن يجب لإخوانه الحجاج ما يحبه لنفسه، وأن يكره لهم ما يكرهه لنفسه، فيتحمل أذاهم، ويصبر على بعض ما يصدر منهم من زحام، أو تصرفات مقصودة أو غير مقصودة؛ فالإنسان الكريم

تبيين ما قرأته عن الحج

رجب - ذوالحجّة ١٤٢٨ هـ - ميقات الحج ٢٨

يصبر على أذى ضيوفه حرصاً على إكرامهم، فكيف بضيوف ربه؟! إن إكرامهم أولى ثم أولى، وإنه لدليل على إجلال الله وتوقيره، وإنه لدليل على كمال العقل، ومتانة الدين؛ لأنه لا أحسن من درء الإساءة بالإحسان. وأن يحفظ لسانه وذلك بتجنب فضول الكلام، وسيئه، والبعد عن الغيبة والنميمة، والسخرية بالناس، وبالخذر من كثرة المزاح أو الإسفاف فيه، وبصيانة اللسان من السب والشتيم.

ومن ذلك أن يحذر الحاج من المباحكة، وكثرة المماكسة، وأن يحذر من المخاصمة والجدال إلا إذا كان جدالاً لإحقاق الحق، وإبطال الباطل بالتي هي أحسن.

وعليه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، كل ذلك حسب القدرة، والاستطاعة مع لزوم الرفق، واللين، والحكمة، والموعظة

الحسنة، والرحمة بالمدعوين والتلطف بهم، والصبر على بعض ما يصدر منهم.

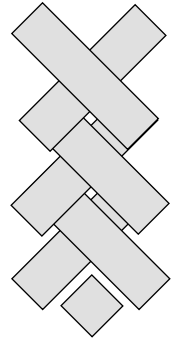
وإعانة الحجاج وذلك بقدر المستطاع، كأن يرشد ضالهم، ويعلم جاهلهم، ونحو ذلك من الإعانات المتعددة.

والاستكثار من النفقة ليواسي المحتاجين، وليرفد إخوانه إذا احتاجوا، وليبادر إلى إعانتهم إذا شعر بأنهم في حاجة ولو لم يطلبوا.

ثانياً: استشعار عظمة الزمان والمكان؛ فذلك يبعث الحاج لأداء نسكه بخضوع لله، وإجلاله له تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (٤).

ثم إن ذلك يصبره على بعض ما يلقيه من نصب أو تعب أو أذى.

ثالثاً: على الحاج أن يغتئم وقته بما يقربه إلى الله تعالى من ذكر أو دعاء، وقراءة للقرآن، وذلك في أي مكان



توحيد الصف الإسلامي والساحة
الإسلامية والأمة الإسلامية..
وها أنا ذا قرأت:

تحت شعار جليل تنطق به جموع
الموحدين، وقد راح يدوي في فضاء
ساحة الحج:

«لييك اللهم لبيك» انطلقت
القلوب محلقة في سماء الطاعة،
لتخفف من أثقال الدنيا.. وما أرق
القلوب والأرواح حين تقتبس
من أنوار الكعبة المشرفة قبسات
وقبسات.. تنفعها وهي تشق طريقها
نحو فضاءات الخير والثبات والتعاون
والتوحد والتآزر..

صديقي العزيز.. أراك تنظر إليهم
كاسف البال حزينا، وقد حرمت من
رفقتهم في أظهر رحلات العمر..
وكأني بك تتوق شوقاً لأن تزور
بيت الله الحرام، لتزود من معانيه
الكبيرة وأنت تتحرك هنا وهناك
داعياً إلى الخير والعطاء.. راغباً في

من تلك البقاع المباركة، فذلك
سبب لمضاعفة أجره، ولانشراح
صدره، وإمداده بالقوة والطاقة كفرد،
وبالتالي تعم هذه الصفات الجماعة
المؤمنة.

حسرات وأمانى صادقة!

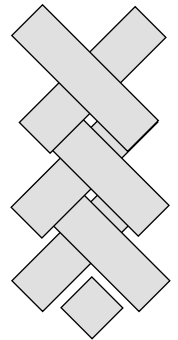
ها هي وفود الحجيج التوحيدية
قد انطلقت.. وها هي جموع الحجيج
الموحدة قد حزمت حقائبها، مهاجرة
إلى الله تعالى في رحلة قدسية مباركة..
أفواج تلو أفواج تنسل من بين
الأهل والأحباب مولىً وجهها شطر
المسجد الحرام.. قد خلفوا الدنيا
وراء ظهورهم، وانخلعوا عن زينتهم
متهيئين للقاء الله تبارك وتعالى عبر
ضيافة طيبة كريمة، ضيافة أكرم
الأكرمين وأرحم الراحمين، إنهم
ضيوف الرحمن!! وكلما طهرت هذه
المجاميع، كلما اقتربت من مقاصد
هذه الفريضة، وأولى مقاصدها هو

الثوب والأجر.. ولكن أنى لشاب مثلي ومثلك أن يملك الزاد والراحلة، وهو ما زال في أوائل حياته يصارع الدنيا وتصارعه..

نعم.. أشعر بك صديقي.. وأقرأ ما بداخلك من حسرة وألم.. أرى الحزن بادياً على قسّمات وجهك.. وأسمع زفرات الأسي تتصاعد من جوفك.. كم أشفق عليك.. وأكبر فيك حرصك على اغتنام فرص الخير، والتعرض لنفحات المولى عز وجل.. فهل تريد حقاً أن تنال شرف الحج إلى بيت الله الحرام؟! وهل ترجو أن تنال أجر الحجيج وأنت قاعد في مكانك؟! إن أردت ذلك فاسمع مني تلك البشرية.. إنها لأمثالك ممن حبسهم عذر ضيق ذات اليد، ومنعهم عدم الاستطاعة من رفقة الوافدين على الرحمن تبارك وتعالى.

لما رجع رسول الرحمة ﷺ من غزوة

تبوك قال لأصحابه: «إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم مسيراً، ولا قطعتم وادياً، إلا كانوا معكم حبسهم العذر» أي شاركوك في الأجر! إنها النية الصادقة، والعزم المخلص الأكيد.. فلئن كان العذر قد حبسنا، ولئن كان فقدان الزاد والراحلة قد أقعدنا فإن صدق النية مع الله عز وجل هي زادنا وهي رأس مالنا الذي لا ينضب ولا يبور.. ولئن كان الحجيج قد امتطوا رواحلهم، وسافروا بأبدانهم.. فهل صديقي نسابقهم في تلك الرحلة النورانية بأرواحنا وهممنا وقلوبنا.. أو ما علمت أن الطريق إلى الله تعالى تقطع بالقلوب لا بالأبدان؟! لئن عجزت عن بلوغ البيت المطهر.. فلا تنسى أن الله بين جنبيك بيتاً لو طهرته لأشرق ذلك البيت بنور ربه وانشرح.. ولئن حبست هذا العام عن الحج.. فارجع



على أمر الله تعالى، والقيام بحق
عبوديته، منتقلاً من طاعة إلى طاعة
ومن قربة إلى أخرى.

وحين يقف الحجيج على عرفات،
رافعين أكف الضراعة إلى الله عز
وجل، يصعد قلبك على أبواب
السماء، ويخر ساجداً لله سجدة
انكسار وفقر وتذلل، لا يرفع منها
إلى يوم القيامة.

وحين يتزاحم الحجيج لرمي
الجمرات.. يرمي قلبك كل ما علق به
من وساوس الشيطان وهو أحبسه..
وتطرد روحك كل ما يطاردها من
همزه ونفخه ونفته.

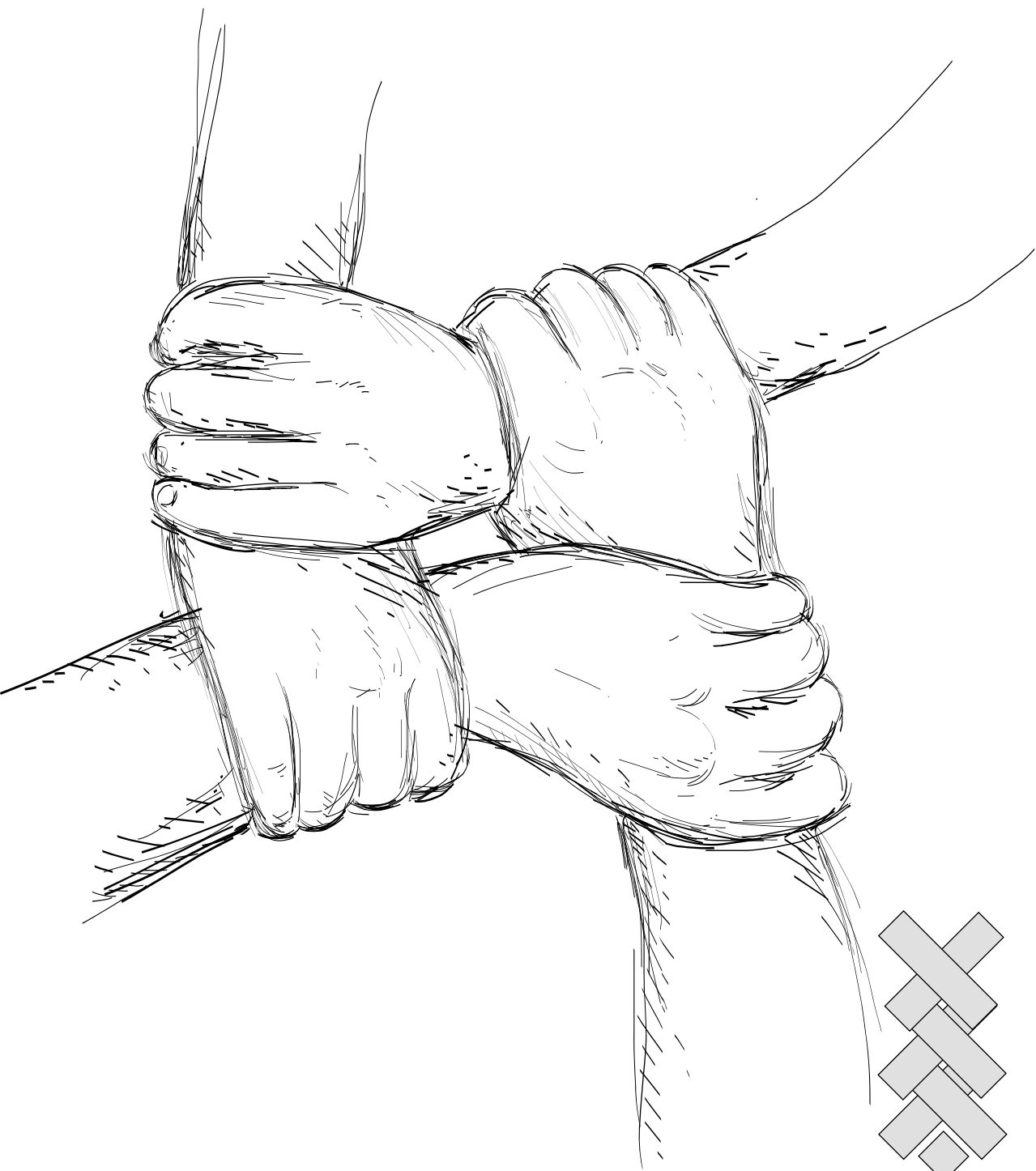
صديقي الحبيب.. أراك الآن وقد
تهلل وجهك، وانفجرت أساريرك..
وبرقت عينك فرحة وسروراً، وكأنني
بروحك قامت تسابق الحجيج
فى أداء المناسك، وتزاحمهم فى
كل مشعر من المشاعر.. كأنني بك
هناك أتخيل شبحك بين الوافدين،

إلى جهاد نفسك لا يجسنتك عنه
الشيطان.. ولئن كان البيت الحرام
بعيداً عنك.. فاقصد رب البيت
الحرام.. فهو أقرب إليك من حبل
الوريد.. وعش مع الحجيج بقلبك
وروحك فى كل منسك من مناسك
الحج.

فإذا أحرم الحجيج من الميقات..
فليحرم قلبك عن كل ما يغضب الله
تعالى من حسد وحقد وغل ورياء،
واخلع مع الحجيج ثياب الزور
والغش والمعصية، وتحلّ بلباس
التقوى وطاعة الرحمن ﴿وَلِبَاسُ
التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾.

وحين يطوف الحجيج بالبيت..
فليعرج قلبك وروحك لتطوف مع
الملائكة الكرام حول البيت المعمور
مستعلية على سفاسف الدنيا
وحقارتها.

وحين يسعى الحجيج بين الصفا
والمروة، لا يكف قلبك عن السعي



أشعر بروحك تتجول في الطرقات
والميادين.. أتتسم عبير أنفاسك
الطاهرة في كل موقف من مواقف
الزائرين.

نسأله تعالى أن يرزقني وإياك حجة
مبرورة إلى بيته الحرام، فلعلها ترفع
الغل من قلوبنا، وتطهر نفوسنا،
وتحسن أخلاقنا، وتجمعنا مع إخوة لنا
في أجواء روحية خالصة، وفي تظاهرة
إيمانية صادقة على صعيد واحد،
تعطي صورة مشرقة لموقف موحد،
وتحرك موحد، وشعار موحد، يكون
مثلاً واعداً لوحدة أكبر بعيدة عن
الفوارق الطبقية واللونية والإقليمية
والعرقية، كما هو حال الطائفين
والقانتين والركع السجود في موسمنا
المبارك هذا!

وثيقة أمن وسلام

الحج فريضة عبادية، ووثيقة أمن،
ومعاهدة سلام، تستفيد الأمة منه،

وتخرج منه بأكبر قدرٍ من الفوائد
والمنافع التي تترك بصماتها القيمة
على مختلف نواحي حياتنا، كما
تنعكس آثارها ونتائجها على سلوك
وعلاقات الإنسان فرداً ومجتمعاً مع
من حوله..

ولعلّ من أبرز الأبعاد لفريضة
الحج في هذا الخصوص ما سجلته
لكم من قراءة:

إن على كل مسلم يأتي حاجاً أو
معتماً إلى هذه البقاع المقدسة أن
يعظم حرّمات الله وأن يعرف لهذه
المشاعر حقها، فيخلص العبادة فيها
لله وحده لا شريك له، وأن يعلم أنه
بدخوله الديار المقدسة إنما يدخل في
معاهدة سلام مع الوجود كله؛ لأن الله
تعالى أمر عباده بأن يكون حرمه آمناً،
والمعنى أن من دخله كان آمناً على
نفسه وعرضه وماله؛ وليس هذا
فحسب، بل إن الحيوان والنبات وما
في حكمهما له مكان في هذه المعاهدة

الأمنية التي يؤكدُها قوله تعالى:

﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (٥).

وهذا فيه أكثر من بعد تربوي إنساني يفرض على الحاج والمعتمر أن يكون في رحلته إلى هذه الديار المقدسة عاقداً العزم على تعظيم حرمت الله تعالى، وعدم إيذاء من فيها من الكائنات، وما فيها من المكونات..

لقد جاء الوعيد الشديد بالعذاب الأليم لمن يقترف الخروقات لأمن المقدسات، وما يترتب على عمله هذا من أضرار جسيمة للسلامة العامة، وهو ما جاء في قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدِقْهُ مِنْ عَذَابِ الْإِلِيمِ﴾ (٦).

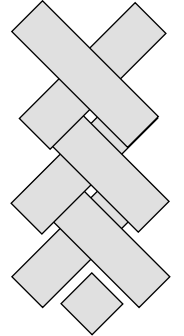
وبتحقق الأمن والسلام تخلق أرضية مناسبة لتواد الحجاج وتحابهم تمهيداً لوحدتهم، التي من أهم عناصر انبثاقها، وبقائها الحب والصلق والأمن والسلام..

حسن التعامل

الحج عبادة تربوية تعليمية تدخل الإنسان الحاج كشخص وكأمة في دورة أخلاقية رائعة ليربي نفسه ويروضها على كيفية التعامل الواعي مع إخوته المؤمنين، وأيضاً مع نظرائه في الإنسانية، وقد صنف الإمام علي عليه السلام الناس الذين نعيش معهم صنفين حيث يقول: «..فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق» (٧).

وقد قرأت لكم:

في أيام الحج بعد تربوي أخلاقي يفرض على الحاج والمعتمر والزائر أن يحسن التعامل مع إخوانه، وبالتالي مع من حوله ومع من يتعايش معهم، وأن يتخلق معهم بالأخلاق الحسنة، وأن يحسن مصاحبتهم ومعايشتهم، وأن يتحمل ما قد يحصل منهم من أخطاء أو نحو ذلك، بأن يتعامل مع الموقف في حدود وضوابط الأخوة



إلى مجتمعه الإسلامي الذي يعيش فيه، ويتفاعل مع من فيه وما فيه، فيفرح لفرحهم ويتألم لألمهم، وينشط لمساعدتهم في بناء ما يصبون إليه من آمال.. حقاً تتجلى الأخوة الإيمانية خصوصاً في دائرة هذه الفريضة - فريضة الحج - عبر وسائل عديدة، منها تربية المسلم نفسه على حسن التعامل مع إخوانه الذين تربطه بهم رابطة الأخوة الإيمانية المتمثلة في قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

الحج عبادة أمة

تتجدد فريضة الحج في حياتنا الإسلامية حتى قيام الساعة، ومن قبل ذلك منذ أمر تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج.. وأمة الإسلام هي أمة الحج، فإذا كان الحج فرضاً على المسلم المستطيع: ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ مرة في

الإيمانية التي جمعهم جميعاً في هذه البقاع الطاهرة ضيوفاً للرحمن في حرم الله الآمن، يطلبون رحمته ويسألونه غفرانه..

وبعد آخر وهو تربية الحاج على حب الخير للجميع انطلاقاً من مبدأ:

«أحب لأخيك ما تحب لنفسك واکره له ما تكره لها».

محبة المسلم لأخيه المسلم هدف فيه ما فيه من السعادة للأمة.. والعمل الدؤوب على إتاحة الفرصة لآخرين من المسلمين الذين لم يسبق أن تيسرت لهم فرصة أداء مناسك الحج والعمرة والزيارة، والذين هم في شوقٍ شديد وحاجة ماسة إلى مساهمة إخوانهم في تحقيق هذا الأمل الذي تنشده أنفسهم، وتهفوا إليه أفئدتهم.

وهذا فيه بعد تربوي ديني اجتماعي يتمثل في تحقيق انتماء الفرد المسلم



العمر، فإنه فريضة سنوية على الأمة في مجموعها العام، فهي أمة تحج كل عام..

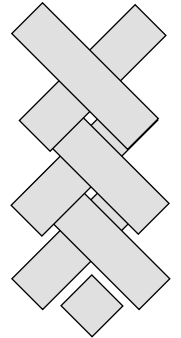
وقد قرأت:

هو مؤتمر المسلمين الشعبي الأول، ولعله المؤتمر الشعبي العالمي الأوحد الذي يتكرر في سنواتنا الأخيرة بنفس العدد وحجم التجمع - بعد تحديد أعداد الحجاج سنوياً - وفي كيفية اللقاء وقدسيته، وهو مؤتمر شعبي حقيقي حاشد، تُخرج فيه الشعوب سفراءها الحجيج ليتلاقوا ويجتمعوا ويتعارفوا ويتآخروا تمسكاً بالآية الكريمة: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (٨).

وهو مؤتمر عالمي موسع، لا يقتصر على إقليم جغرافي دون إقليم، أو قارة دون قارة، يحضره سفراء الشعوب من كل قارات العالم ودوله، ويمتد التمثيل الشعبي فيه ما

امتدت رقعة الإسلام في كل بقاع الأرض، ولا يقتصر في ذلك على العالم الإسلامي ودوله؛ إذ يلتقي فيه المسلم الأسترالي مع المسلم الأمريكي، وكذا المسلم الأوروبي مع المسلم الهندي والمسلم العربي.. فهو مؤتمر يتجاوز بطبيعته الآفاق السياسية؛ لأنه مؤتمر شعبي بقرار رباني، ويتجاوز الحدود والفواصل الجغرافية، ويتجاوز كذلك الإطار الإقليمي للعالم الإسلامي.

فليس الحج عبادةً فريدةً يخرج فيها كل مسلم متجرداً إلى ربه يؤدي المناسك ثم يعود من حيث أتى، ولكنه عبادة جماعية واجتماعية كبرى، ومناسبة ضخمة للتجمع؛ من أجل هذا حدّد له المولى - عزّ وجل - أياماً وأوقاتاً معلومةً ومحددةً بكل دقة ليجتمع كل الحجيج في لحظة واحدة في صعيد واحد.. الأمر الذي يتحقق في أجلّ صورهِ في يوم الحج الأكبر عند



الوقوف بعرفة؛ ولعل هذا الاجتماع الفريد المتجدد واحدٌ من تلك المنافع الكبرى للحج التي نكرها المولى - عز وجل - في قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾^(٩)، لتشمل كل منفعة كبرى تعود على الأمة وعلى الحجاج فرادى وجماعات.

معادلة جميلة بين التوحيد والوحدة

موسم الحج موسم حاشد، ومؤتمر جامع، ومناسبةٌ مركزة واعية لإعلان التوحيد، هو موسم التوحيد الخالص، شعاره الخالد «لبيك لا شريك لك»، موسم تلتقي فيه الأرض قاطبةً بالسماء على التوحيد عبر ممثليها المحتشدين بالمشاعر المقدسة وعبر ذويهم المعلقة قلوبهم بتلك المشاعر، وبإخوانهم الذين سبقوهم إليها، ما أروعه من موسم.. وما أجملها من أيام تلك التي تنطلق فيها الألسنة من كل

حذب وصوب تعلن كلمة التوحيد، وترتبط فيها القلوب بإله واحد، وتتطلع فيها العيون إلى السماوات العلى، وترتفع فيها الأكفُّ إلى خالق السماوات والأرض؛ طلباً للرضا والقبول، ليكون مؤتمر التوحيد الحاشد في مكة مركز الأرض، بينما تنطلق أشعة شمس التوحيد منها إلى دائرة محيطها ألا وهو محيط الأرض كلها!!! لتتعلم من ذلك كيف تتوحد صفوفها، وتتفق كلمتها، وتتعاقد أيديها..

وهذه قراءتي

ويجب أن يكون موسم التوحيد الخالص هذا موسم التوحد، محققاً لمعادلة قرآنية:

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾

لقد ربط الله تعالى بين وحدانيته وبين وحدة الأمة، فالأمة المسلمة أمة واحدة عمادها الأول توحيد الرب

تعالى وإفراده بالعبادة، والأمة التي
تجتمع على أسمى معنى تلتقي عليه
الإنسانية، بل يلتقي عليه أقطاب
الكون جميعاً.. من ملائكة وجن
وإنس ودواب وشجر وحجر.. وهو
معنى توحيد الله وإفراده بالعبادة:
﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ
وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (١٠).
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا
لِيَعْبُدُونِ﴾.

هي أمة يجب أن توحيدها عظمة
الغاية وشرفها؛ امتثالاً لأمره تعالى:
﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا
تَفَرَّقُوا﴾ (١١).

وأن تحقق معنى الأخوة الإنسانية
الإسلامية تحقيقاً لقوله تعالى:
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (١٢).

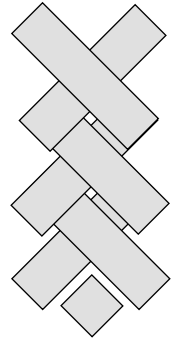
والوحدة والأخوة الإسلامية العالمية
تتجلى في أبرز صورها وأعظم
مظاهرها في فريضة الحج.. تتجلى
بين الشعوب في شعاب مكة والمدينة،

ولو تأكلت أو بهتت صورتها على
الصعيد السياسي والرسمي.
في موسم الحج نلمح معنى من
معاني قوله تعالى:

﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا
فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتْ بَيْنَ
قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ (١٣).

إن الألفة الإسلامية والرباط
الإسلامي حقيقة حتمية خلقها المولى
عز وجل الذي أمره بين الكاف
والنون، حقيقة كونية ثابتة، مثلها مثل
حقيقة الخلق والحياة والموت.. حقيقة
واقعة لا تحتاج إلى قانون ولا إلى جهد
بشري.. انظر إلى تأخي المسلم مع
المسلم في موسم الحج، ثم انظر إلى
السياسات العالمية، والأموال المتدفقة
لفصم تلك العلاقة الحتمية الأبدية
تجد نفسك تُردد قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
لِيُصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا
ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ



يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ
يُحْشَرُونَ ﴿١٤﴾.

هكذا ينبغي أن تكون

في مناسك الحج ومواقفه حققت
الأمة - وهي تؤدي تلك المناسك
المباركة - وحدتها العاطفية ووحدها
العقائدية والأخلاقية وأخوتها
الإسلامية بفضل من الله عز وجل
دون تعب منها ودون مشقة، فهل
تستفيد الأمة من هذه النعمة الربانية
الكبرى وتنطلق من هذه إلى وحدة
أخرى..؟

وقراءتي عن هذا:

هكذا ينبغي أن تكون الأمة أن
تنطلق مما أنعم الله تعالى عليها من
توحيد عقيدتها إلى أن تتوحد في
الأهداف العليا لحياتها وفي غاياتها
الكبرى وإطارها العام؛ بحيث يؤمن
الناظر إلى الأمة المسلمة على
امتداد جغرافيتها واختلاف حدودها

ولغاتها وألوانها.. أنه أمام أمة واحدة
القصود والهدف والتوجه والمصير
والمصلحة، لا يمكن ضرب وحدتها
ولا تضاد مصالحها ولا اختلاف
منهج التلقي الأول لديها ولا تحويل
أصولها وثوابتها، ولا ضرب بعضها
ببعض؛ لأنها تسير في مسار واحد
نحو هدف واحد وإن تعددت السبل
وكثرت المنافذ واختلفت الوسائل
والآليات..

فهذا التعدد حاله حال النفرة إلى
عرفة وهو نموذج رائع يعد هدفاً
واحداً محدداً تتعدد له الأساليب
وتكثر الطرق وتختلف الوسائل،
فمن يأتي عرفات ماشياً ومن يأتيها
راكباً، فالطرق إلى عرفة عديدة لكنها
كلها تصب في الموقف في الهدف
المراد..

كما أن الأمة الإسلامية لا تستطيع
أن تحقق وحدة الدولة والكيان تحت
راية واحدة قبل أن تحقق وحدة

الهدف ووحدة المصير ووحدة الشعور
ووحدة الاقتصاد ووحدة الشعوب
ووحدة المصالح ..

وما سقوط الدولة الإسلامية
وتفرق شعوبها إلا بعد أن فقدت
هدفها وتآكل النفوذ الروحي
الذي يجمع المسلمين، ويوم تحقق
الأمة وحدتها الفكرية ورباطها
الروحي القائم - بعد وحدة العقيدة
والشعور - على وحدة المصالح
والمصير، تستطيع أن تحقق بذلك
عودة القوامه الفكرية والاجتماعية
للأمة، وهي أهم وأعمق بكثير
من الخلافة السياسية الرمزية التي
ترمز في النهاية إلى وحدة الكيان
الإسلامي..

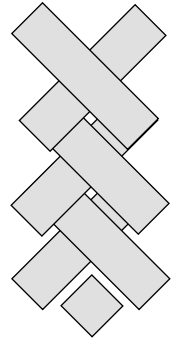
وهو دور تستطيع أن تنجزه
الأمة من خلال شعوبها وعلمائها
وكوادرها الفاعلة في مختلف
المجالات وإن اختلفت أهواء الساسة
ومشاربهم.. وليس هناك مناسبة

أضخم من موسم الحج لتحقيق هذا
الأمّل، فالأمة باعتبارها الكيان المدني
الذي يقابل السلطة أو ما يعرف في
العصر الحديث بمصطلح مؤسسات
المجتمع المدني، هي وحدها المؤهلة
للقيام بهذا الدور..

جديد القراءة

إن الحديث عن العبادة وعن
الشعائر والمناسك وما يتعلّق بها
غدا حديثاً ناقصاً وقد يكون مملاً لدى
الكثيرين... لأنه حديث توقف أو كاد
عند عتبة الحلال والحرام، والثواب
والعقاب، أو تحت مظلة الشكليات
التي تقيم هيكل العبادة دون أن تبثّ
الروح فيها فهو غدا حديثاً بلا روح...
مما أورث تصوراً خاطئاً عن العبادة
يتلخص أنها - أي العبادة وما يتعلق
بها - صارت أشبه ما يكون بالطقوس
في الأديان الأخرى...

ومن هنا ينبغي إعادة قراءة هذه



العبادات والشعائر، قراءة تستوحي معانيها الجميلة، وأهدافها التربوية، وأبعادها النفسية، ومفرداتها العملية، ووظيفتها التربوية والاجتماعية والسياسية والتنظيمية... وأصبحت ضرورة يلح الواقع الإسلامي بل الإنساني عليها..

وقد قرأت لكم:

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾.

وما يؤكد هذه القراءة وضرورتها أنها تمثل قراءة وفهماً لركن أساسي من أركان الإسلام، إذ إن الحج يعد ثورة موظفة لمعنى يتجلى من وراء تقنينها بالسلوكيات والشكليات والرمزيات... ثورة ضد التقليد الذي يسير عليه الإنسان بجميع أشكاله ليعيش نمطاً جديداً من الحياة في أيام، فحمل من إيجابياتها ما يثقل وزنه في سلوكه ووجدانه...
فمثلاً عبر هذه الممارسة يتأكد عنده

التعارف بشكله الواسع والمتصف بالديمومة سنوياً لم يكن ليقع لولا التزام المسلمين بهذه الشعائر، ولولا تلبيتهم لنداء السماء المبارك لأداء فريضة الحج؛ ذلك أن في تعارف الشعوب الإسلامية وتبادلها الآراء وطرحها لمشاكلها ما يقرب شقّة الخلاف إن كان هناك خلاف، وإذا انعدم الخلاف، عمّ التفاهم، ووحدت الغايات، واتحدت المناهج.
إن النهوض بالشخصية المسلمة

الرجبة الجادة في فهم واع لمن حوله من أجناس البشر تمهيداً للتفاهم معهم فبناء أواصر المحبة والمودة كأسس لوحدة الكلمة والموقف، وكتعبير محسوس عن هذا الاندماج بغيره من إخوانه تخليه الواعي المنهج عن اللباس والطيب وأسباب الزينة وملذات الدنيا...

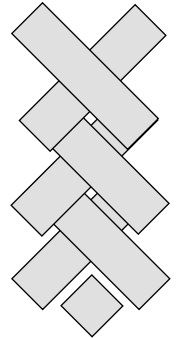
وليس رداءً وإزاراً أبيضين غير مخيطين يمثّلان الاستسلام لله طواعية، قبل الاستسلام له كراهية عند الموت في لباس شبيه...

إقبال على الله بفتح صفحة جديدة من العمل مخوفة بالأمل الذي لا يلغي من حسابانه ساعة الموت، الذي هو صفحة جديدة أيضاً ولكن من حساب قديم...

والمناسك التالية لهذه الخطوة تأكيد لها، وتسديد لمستقبلها المنشود في حياة جديدة منتظمة قائمة على منهج الله، وتكرس في نفس صاحبها

روح الخير والبذل والعطاء من خلال ما يغدقه الحاج في سبيل هذه الفريضة ومناسكها، وتعود على النظام والجدية والمسؤولية في الحياة بالتزامه بنظام دقيق شامل لجميع شؤون الفرد لباساً وطعاماً وجسداً وزماناً ومكاناً ومجتمعاً...، إنّها «حركة شمولية ذات أبعاد تربوية حقيقية، استعملت فيها أساليب الحسبة والتجريدية والممارسات التجريبية بكل ما تعني من عمق في قدرة الحج على التغيير بطريقة تخلو من كل السلبيات في العملية التربوية على العموم... فلحج فريضة متعددة الجوانب والأطر: إجتماعية، تربوية، سياسية، علمية، عقلية، وجدانية، بدنية، فنية...».

إن الحج تدريب عملي للمسلم على المبادئ الإنسانية العليا التي جاء بها الإسلام، فقد أراد دين الله أن لا تكون تعاليمه ومبادئه مجرد



شعارات أو نداءات، بل ربطها بعبادته وشعائره ربطاً وثيقاً، حتى تكون سلوكاً تطبيقياً في حياة المسلم وفي علاقته مع الآخرين.. يتضح ذلك من خلال كل أنشطة وفعاليات هذه الفريضة، بدءاً بالإحرام ونيته مروراً وانتهاءً بالمناسك الأخرى..

إذن، الحج ثورة على ما اعتاده الناس القادمون لأداء هذه الفريضة، كما أنه ترسيخ لقيم التواضع والمحبة والمساواة والتعاون، وهذه كلها أعمدة الوحدة بينهم باعتبارهم شريحة واسعة جمعتها هذه المواقف والمناسك، وبالتالي يسجلون لأنفسهم أنهم النموذج لتعاون أكبر وتآلف أوسع في الإطار الإنساني الأشمل..

لمكة ولحج والحاج كلمة

وفي ختام هذه القراءات المنتقاة والمختصرة، أرى من الضروري أن

اختتم هذه بقراءة أخيرة لمشهد الحج ومهامه وآفاقه المأمول تحقيقها أو على الأقل الإعلان عنها بشكل صريح وواضح ومسموع من قبل جميع من في الأرض، خصوصاً ونحن في عصر يكاد يكون العالم قرية واحدة بفضل وسائل الاتصالات التي دخلت كل بيت، بل ولا تترك شاردة ولا واردة إلا ووضعت يدها عليها صورة وصوتاً..

دعوا مكة تقول كلمتها، ودعوا الحج يقول كلمته، ودعوا الحاج يقول مكاناً، ومن الحج مناسك وأهدافاً، ومن الحج نفسه الكادح من أجل الله تعالى وثوابه ومغفرته ورضوانه.. أن ينطق بكلمة؟! وهذه قراءتي الأخيرة أرجو أن أكون موفقاً فيها وفي قراءتي التي خلت:

ومن أجدر من مكة أن تكون لها هذه الكلمة كل عام، وهي التي تحتضن أعظم وأقدم وأخلد مؤتمر





سنوي عالمي، يتوافد إليه الناس من كل جنس وعرق ولون؛ رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق، منذ أذن فيهم بالحج إليها أبو الأنبياء إبراهيم

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ (١٥).

ومن غيرها أولى وهي تضم ﴿وَضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِنِكَهٖ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴿ جعله الله حراماً ليكون للناس قياماً: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكُعبَةَ النَّبِيتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ (١٦).

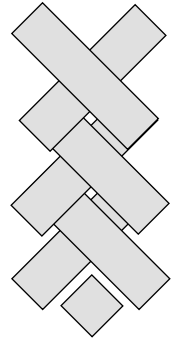
وليكون لهم مثابة وأمناً ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا النَّبِيتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ (١٧) يقيمون فيه مؤتمرهم السنوي، مخبتين إلى الله، متحدين تحت لواء أصلهم الإنساني الواحد، متبرئين من كل ما يمكن أن يفرق بينهم من لون أو عرق أو لسان أو مال، أو لباس، أو ريش؟! ومن غير المسلم الحاج

يملك خطاباً إنسانياً شاملاً، مركزاً إلى قيم ربانية تهفو إليه الفطر الإنسانية السليمة، لا يصدر عن شخص مهما علت مكانته الدينية أو السياسية أو الاجتماعية، ولا عن هيئة أو حزب أو سلطة مهما كانت صفتها محلية أو إقليمية أو دولية، إنما يصدر عن مؤتمر شعبي عالمي عريق راسخ لا يخضع لشيء من مؤثرات الزمان والمكان؟ وهل يحتشد مليوناً مسلم كل عام في مكة، يهرعون إليها من كل أنحاء الأرض يتكبدون لها المشاق والمتاعب والنفقات، لمجرد أداء طقوس تخصهم، بمعزل عن القضايا الإنسانية الكبرى؟! أهكذا كان حج رسول الله ﷺ يوم خطب الناس فحرم دماءهم وأموالهم، ووضع عنهم ربا الجاهلية، وأوصاهم بالنساء خيراً، فتناولت خطبته أخطر جوانب حياتهم التشريعية والاقتصادية والاجتماعية؟ (١٨)

أليس في تجاهل المشكلات التي تعاني منها البشرية - ما كان منها متعلقاً مباشرة بالمسلمين، وما لم يكن له بهم علاقة مباشرة - بعداً عن مقاصد الحج التي قدم الله تعالى فيها شهود المنافع على ذكر اسمه: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ ونكوصاً عن أداء المهمة التي أناطها الله تعالى بالمسلمين، إذ جعلهم أمة وسطاً وأشهد عليهم الرسول ﷺ ليكونوا بدورهم شهداء على الناس: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (١٩).

ثم هل تضاءلت المعاني الكبيرة للحج، والمثل العليا التي ينطوي عليها، والرموز السامية الرفيعة التي يحفل بها، لتقتصر على خبر عابر عن فريضة الحج وانعقادها لا يحرك في المشهد الدولي ساكناً، ولا يبلغ

رسالة الإسلام جاهلاً، ولا يصحح من ضلالات الإعلام العالمي خطأ، ولا يحقق للإسلام والمسلمين في المحافل الدولية حضوراً؟ وتتوالى مواسم الحج عاماً بعد عام، وتفتح الثقافات الإنسانية على بعضها إثر ثورة الاتصالات العارمة التي أخذت تغمر العالم بالمعلومات، وتضعنا على تماس مباشر مع جميع الثقافات.. فيكبر السؤال: ألم يأن أن يكون لنا منبر نبلغ منه رسالتنا ونوضح قضيتنا، ونصحح المفاهيم المغلوطة عن ديننا؟ وهل غير الحج ذي القيم الكثيرة والمبادئ العالية والأهداف الكبيرة التي هي بمتناول العديد من الحجاج المفكرين والقادرين والناشطين، كما أنها متيسرة بشكل أو بآخر للكثيرين من المسلمين الحجاج وحسب مستوياتهم.. يصلح لأن يكون هذا المنبر؟ أن أوان تبليغ رسالة الإسلام إلى العالم أجمع - من



﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (٢٠).

وبهذا وبغيره نعرف أي منبر
نرتقيه، وأي مناسبة نعيشها ونستقي
منها معارفنا.. وأي جمهور نحاطب،
وأى عدد يمكن أن نبلغه رسالة
الحج بالبلاغ المباشر الحي عن طريق
الفضائيات، وبالْبلاغ المنقول في
الأثير عبر أجهزة الإعلام المتنوعة
مكتوبة ومرئية..

وعن طريق الحجاج العائدين
وهم كثر إلى أوطانهم وأهاليهم
أيضاً، فالحجاج قادرون على أن
يكونوا مبلغين ناجحين لرسالة الحج
ولرسالة الإسلام لأسرهم وأبناء
بلدتهم وقبائلهم «فرب مبلغ أوعى
من سامع..» وعلينا أن لا نستهيئ
بأي جهد مهما صغر..

ولعرفنا بعد ذلك أي تفريط يحق
منبر الحج نرتكبه في عدم توظيفه

أسلم نفسه منه الله ومن لم يسلم
- وأن ندوة الحج هي المنبر، وأن
موضوعها السنوي المتخذ - بشيء
من التطوير - هو الرسالة. لا شك
أن تحقيق هذا الحلم الطموح تعترضه
صعوبات جمة.

فالناس المخاطبون، تختلف
ألسنتهم وألوانهم وأمزجتهم
ودياناتهم، ومستوياتهم العلمية،
واهتماماتهم الثقافية، وخصائصهم
البيئية.. ولكن الداعية المسلم
الواعي نفسه وبمؤسساته العلمية
المتطورة والقدرات الواعدة يمتلك
أكثر أنواع الخطاب قدرة على النفاذ
إلى قلوب جميع الناس، واستنهاض
فطرتهم السليمة، للقيام بسعي
إنساني مشترك من أجل إقامة
العدل ورفع الظلم وتحرير الإنسان
من ربة شهواته وأثرته، انطلاقاً من
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
الذي أناطه الله تعالى بحير أمة:

التوظيف الأمثل والأجدى.. وأي مسؤولية نتحملها جراء تقصيرنا في تبليغ رسالة الله تعالى إلى الإنسانية الظمأى إليها، التي لم تكن في يوم من الأيام أحوج إليها من أيامها هذه التي تغرق فيها في بحر الأنانية المادية الشهوانية وضلالاتها، التي ابتعدت بها عن طريق الله تعالى، وأبطأت بها عن وتيرة الكدح الإنساني المرسوم للإنسان في سعيه للتحرر من الفساد وسفك الدماء

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (٢١).

ونتحملها كذلك كتماناً للشهادة التي ائتمنا عليها

﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ (٢٢).

ونتحملها صمتاً مطبقاً إزاء الحملات الإعلامية المغرضة التي يشنها أعداء الإسلام عليه، يلبسون بها الحق بالباطل، ويستهدفون تشويه تعاليمه السمحة، وطمس

حقائقه الناصعة:

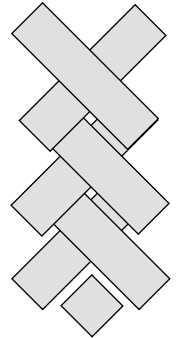
﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٢٣).

﴿كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ مظهر الحج نموذجاً!

إن الحج إذا ما أداه الحاج المؤمن كما هو مرسوم له من قبل السماء وكما هو الحج الإبراهيمي الصحيح، فلا نستغرب إذا ما استعنت بهذا التشبيه الرائع الوارد في الآية المباركة:

﴿كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾.

فأقول: إنه يمكن أن يستفاد منه في وصف المؤمنين وهم في مواقف الحج وساحته بما يحملونه من قيم السماء بأن يكونوا كما هم في ميادين جهادهم لأعدائهم، وكما ينبغي أن يكونوا في ساحات القتال بنياناً مرصوصاً، بنياناً متيناً بقيمه ومبادئه أن يكونوا - هكذا - صافين أنفسهم متضامنين متكافلين



متماسكين محكمين في أخلاقهم ومواقفهم وآرائهم وأهدافهم كأنهم قطعة واحدة فقط لا اثنتين أو أكثر، لا فرجة فيها تخرق، ولا ثغرة فيها تستغل من قبل الآخرين أو تعطي صورة سيئة لهذا المشهد، وهو يعيش معناه العبادي الواسع..

إنه بانيان أخلاقي دقيق نظيف لأمناء منهج السماء في الأرض ينأى هذا البنيان المبارك بنفسه عن عصبيات عديدة عصبية اللون وعصبية الجنس وعصبية القبيلة والعشيرة والنسب وعصبية المال والجاه.. ويعد هذا حلقة من حلقات التربية الصالحة السليمة للحجاج، وهم يمثلون أمتهم الأوسع والأكبر في كل موسم حج، ففريضة الحج تجربتهم التي من خلالها يمارسون عملياً ذلك البنيان ويتدربون عليه، والحج كما نعلم دورة تدريبية لكل معاني الدين ومفاهيم الحياة...
لعلي أكون موفقاً في اختياري

واقتناسي عنواناً من الآية الكريمة الرابعة من سورة الصف - التي سميت السورة بالصف انطلاقاً من الآية المذكورة وتأكيداً على أهمية الصف المتناسك - لوصف ما هو مطلوب ويهدف إليه من قبل مناسك الحج ذات المظاهر الوجدانية العديدة، وهي ما أكثرها وأعظمها مظاهر الوحدة في موسم الحج وهي تتجلى في كل مواقيته ومناسكه وأنشطته..

فإضافة إلى أن موسم الحج يجد ذاته أيامه رائعة جميلة وملتقى تعارف جليل نافع فهو يبني هيبته له في النفوس، وجلالة له في القلوب، ويشكل مسيرة نادرة قلّ مثيلها بل انعدم، ويترك مظهراً رائعاً للحجيج وهم يقفون تلك المواقف المهيبه، وقد اتحدوا مكاناً وزماناً ولباساً.. وهم يتحركون جميعاً من ميقات إلى آخر، ومن منسك إلى آخر، ومن منزل



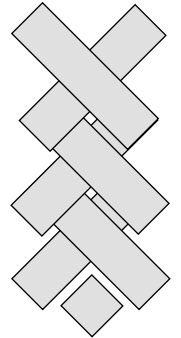
إلى آخر، ومن أثر الى آخر فالشاعر
والمواضع كلها هدف لوحدة المشاعر
وهدف للتوحيد. وقبل أن نستعرض
ما في هذا الموسم وهذه الفريضة مما
يتيسر لنا من مظاهر وعوامل توحيد
الصف، لا بد من كلمة أضيفها إلى
ما ذكرت:

إن مما لا ريب فيه أن الاجتماع
والاتفاق توحيد للصف وسبيل إلى
القوة والبقاء، وأن التفرق والاختلاف
تمزيق للصف وطريق إلى الضعف
والانهزام، ولا خلاف في أنه ما
ارتفعت أمة من الأمم وعلت رايتهما
إلا بتوحيد صفوفها وتوحيد جهودها
والتعاون والتلاحم بين أفرادها..

وهنا نحاول أن نلقي أضواء على
فريضة الحج، وهي - وكما نراها -
خير دليل على وحدة الصف المؤمن،
الذي يظهر لنا وهو يؤدي مناسك
الحج المتعددة وكأنه فعلاً بنيان
مرصوص لا تجد فيه خللاً ولا شائبة

ولا نقصاً، ما أروعه من كيان متماسك
متين، وما أجله من جمع هائل تباركه
العقول، وتهابه النفوس، وتهتز له
المشاعر والعواطف فخراً واعتزازاً..
تعال معي أخي المؤمن! حتى نرى
ما يحمله الحج من معان جميلة استحق
معها أن يحتل المكانة الأكبر والمنزلة
الأعظم دينياً وأمناً واجتماعياً
وسياسياً واقتصادياً... ليؤسس رصانة
في المواقف، وثباتاً في المبادئ، وعظمة
في المظاهر الموحدة..

فالحج بداية (نموذج) يعد مبدءاً
عظيماً يدور حول إطاعة الله سبحانه
وتعالى والرسول ﷺ لأن هذه الطاعة
هي أساس كل خير للأمة، وبداية
كل خير، وأول الخير هو وحدتها..
والآيات القرآنية والسنة النبوية
الشريفة تدعو إلى تلك الطاعة،
وتحذر هذه النصوص من الاختلاف
والتنازع، لأن هذه الأمراض إن
وقعت تنخر كيان الأمة وتجعله



هشيماً متفتتاً، قال تعالى:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا
فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٢٤).

وفي صحيح مسلم عن أبي مسعود
رضي الله عنه أنه قال:

«كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في
الصلاة، ويقول: استووا ولا تختلفوا
فتختلف قلوبكم».

والحج يشكل في كل عام موسماً
عبادياً عظيماً، تتجسد فيه تلك

الطاعة لله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ
عبادة وأخلاقاً وسيرة، وتنبثق بسببها
وحدة المسلمين وقوتهم في أحسن
مظاهرها وأبهى حللها، حيث تذوب
الفوارق، وتتلاشى الحواجز، ويجتمع
المسلمون في مشهد رائع أخاذ، يبعث
على السرور، ويسعد النفوس،
ويبهج الأرواح والقلوب.

والحج كما صرح القرآن الكريم،
والأحاديث الشريفة، إلى جانب كونه

عبادة وتقرباً إلى الله سبحانه، وإلى
كون العبادة ظاهرة واضحة تحيط
أجواءه وسلاحاته ومعالمه، فإنه لا
يلغي ولا يقلل ما يتضمنه من منافع
اجتماعية وفوائد ثقافية، واقتصادية،
وسياسية، وتربوية، تساهم في بناء
المجتمع الإسلامي، وتزيد في وعيه
وتوجيهه، وتساهم في حل مشاكله،
وتنشيط مسيرته.. بل على العكس
يوجد لها وينميها ويدعو إليها ويحث
عليه..

والحج يذكرنا بمن سار على تلك
البطاح المباركة من أنبياء الله تعالى
ورسله صلوات الله تعالى عليهم،
ويذكرنا بعباده الصالحين والشهداء
؛ ويتذكر الصحابة الغرّ المنتجبين
رضي الله عنهم، وما لاقوه من البلاء
في سبيل نشر هذا الدين الحنيف.
فيشعر كل منا بأنه امتداد لتلك
السلسلة المباركة، وذلك الركب
الميمون. ويتذكر أن هذا البيت

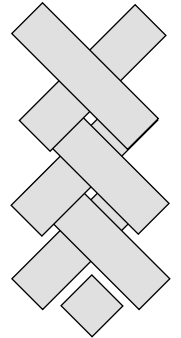
الذي يطوف حوله، والمسعى الذي يسعى فيه، والمعالم الأخرى ما كانت لتصل إليه لولا إرادة الله عز وجل وجهود الأنبياء والأئمة والشهداء والصالحين..

والحج موسماً وفريضة هو ذلك النموذج الفذ، والذي يعد مظهر وحدة المسلمين وقوتهم، فهم يشهدون في موسم الحج أروع مظاهر المساواة والتواضع والأخوة الإنسانية، عبر إلغاء كل ما من شأنه التمييز والطبقية والتعالي، وعبر خلع أسباب الظهور الاجتماعي كالأزياء مثلاً ثم الظهور باللباس العبادي الموحد، حيث يحس الجميع أنهم بلا فوارق وبالتالي يحسون بوحدتهم وبالأخوة والمساواة..

والحج تظاهرة إيمانية رائعة تشترك فيها صنوف متعددة من الأجناس والفئات والطبقات والقوميات على موعد واحد، وفي أرض واحدة،

يرددون هتافاً واحداً، ويمارسون شعاراً واحداً، ويتجهون لغاية واحدة، وهي الإعلان عن العبودية والولاء لله وحده، والتحرر من كل آثار الشرك والجاهلية، بطريقة جماعية حركية، تؤثر في النفس، وتشبع المشاعر والأحاسيس بالإيمان وآثاره، وبمداليل التوحيد وثمارها..

والحج يستشعر فيه المسلمون وحدة البشر ووحدة الأرض، فتتهار بينهم الحدود التي صنعتها الأنانيات والأطماع الإقليمية والقومية والعنصرية.. فهم يأتون من كل فج عميق، من كل طريق بعيد ومكان ناء، يقطعون آلاف الأميال، ويخترقون كل الحواجز والحدود والبحار والمحيطات، ويجتازون كل الموانع التي صنعتها الأعداء على أرض الله سبحانه وتعالى، استجابة لنداء العقيدة، وتلبية لهتاف الإيمان، وتلبية لدعوة شيخ الأنبياء إبراهيم عليه السلام





الحية الباقية الخالدة..

والحج يلتقي فيه المسلمون بمؤتمرهم الكبير، فيتذاكرون في شؤونهم، ويتشاورون في أمور حياتهم وعقيدتهم، ويتبادلون الخبرات والتجارب والآراء والعادات الحسنة، ويتعرف بعضهم على مشاكل بعض، ويطلع بعضهم على رأي بعض، ويتعرف بعضهم على أخبار بعضهم الآخر، فيزداد الوعي، وتنمو المعرفة، وتشحد الهمم من أجل الإصلاح والتغيير والاهتمام بشؤون الأمة والعقيدة، فتخطط المشاريع، ويفكر في الأعمال، وتؤسس المراكز الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، ويستعين بعضهم ببعض، وكأنهم جسد واحد، وروح واحدة، وكيان واحد.. فللحج إذن وقت محدد، ومكان معين، ومناسك وإن تعددت فهي واحدة، وزى موحد ونداء واحد،

يجتمع فيه المسلمون ليؤدوا فيه مناسكهم، وقد تحدث عن هذا القرآن الكريم:

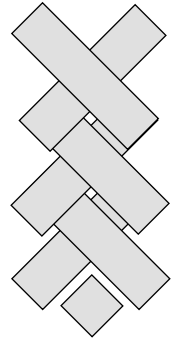
﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (٢٥).

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهُدَى وَالْقَلَائِدَ﴾.

﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾.

هكذا إذن حددت الآيات زماناً وعينت مكاناً لهذه الفريضة المباركة، وهما يشكلان وغيرهما مظهراً مهماً من مظاهر الوحدة، فتوحيد الزمن والموضع من توحيد الهدف.

كما أن الكل مطالب بأداء مناسك الحج من أماكن محددة بدءاً بالإحرام من المواقيت المعروفة من غير تجاوز، والطواف بالبيت المحدد دون غيره، والسعي بين الصفا والمروة،



والوقوف بعرفة، ثم المزدلفة والمبيت
ببنى ليلتين أو ثلاثاً لأداء أعمالها من
الذبح والحلق أو التقصير ورمي
الجمار...

لا فقط إذن الظرف الزمني محدد
والظرف المكاني معين والمواقيت،
بل حتى المناسك والأنشطة التي
يكلف بها الحجاج هي الأخرى محددة،
فكلهم يقومون بنفس الأعمال مما
يجسد ويعمق المساواة بينهم، تمهيداً
لبناء الأخوة والمحبة، ويجعل الوحدة
بينهم متجددة في كل ساعة وفي
كل مكان وفي كل عمل يقومون به
ويؤدونه، وتعيش معهم في كل خطوة
يخطونها وفي كل ساعة يقضونها..
وبالتالي جميع هذا يعد دليلاً على
الترغيب الملح، والتشجيع في توحيد
الصفوف وتحقيق ما في الوحدة من
قوة وصلابة..

الحج - كما هو واضح من وظائفه
ومهامه وأهدافه - يفسح المجال ويعطي

الفرصة ويهيئها للمسلمين لمواساة
بعضهم بعضاً من خلال لقاءاتهم
المتكررة، وتقارب آمالهم وآلامهم..
وهذا مقوم مهم لقوتهم ووحدتهم..
وهذا أيضاً من مظاهر هذه الفريضة
الباركة.

الحج يعد موسماً كبيراً واعياً رائداً
واعداً لاجتماع العلماء والمفكرين
والدعاة إلى الله والمصلحين، وهم
أهل الذكر والفكر وهم القادرون
على التشاور بينهم، لأنهم الأجدر في
البحث بشأن هموم الدين ومشاكل
الأمة والعمل على إيجاد حلول لها
وجمع شملها، والبحث في الوسائل
والأساليب المعينة على ذلك..

والحج موسم لاجتماع الأغنياء
بالفقراء، والعمل على مواساتهم
والتعرف على آلامهم وحاجاتهم
ثم التخفيف عنهم، مما يجسد مبدأ
التضامن والتلاحم بين أفراد هذه
الأمة المحرومة...

الحج تواجد واعد في تلك البقاع
المباركة لأيام وإن كانت قليلة، ويعد
اختباراً لآمال الأمة وإرادتها وبوتقة
لأنشطتها ولما يشغل بالها، حيث
يتطلعون جميعاً إلى عهد زاهر تتظافر
فيه جهودهم، ليشكلوا وحدة شاملة،
ترفعهم فوق الأمم، وتعيد لهم
تلك الريادة والسيادة التي ضاعت
من أيديهم بسبب الفرقة والنزاع،
ويتم الله تعالى وعده لهذه الأمة
بالاستخلاف الموعود..

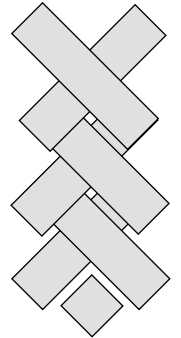
والله غالب على أمره، وهو يتولى
الصالحين يقول سبحانه وتعالى في
محكم كتابه العزيز:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ
فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي
ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ
خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ
بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ

هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٢٦).

انطلاقاً من بركات هذا البيت
الأول والمعمور ومن هداه ومن
خصائصه وآياته البيئات الأخرى:
﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾*
فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ
دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾.

والحج تتحقق فيه وحدة العبادة
ووحدة الأخوة الإسلامية بكل
معانيها ومظاهر هذا واضحة
جلية: فالرب واحد، والقبلة واحدة،
والمشاعر واحدة، واللباس واحد،
والمناسك واحدة، والزمان واحد،
والمكان واحد، كل شيء يتسم
بالوحدة ويؤشر عليه. فكل هذه
المظاهر تجتمع في الحج، وهي مدعاة
للإحساس بوحدة الشعور، وموجبة
للتآخي، والتعارف، والتعاون على
مصلح الدين والدنيا، كيف لا يكون
كذلك والكعبة هي الجامعة وهي



عنوان التوحيد، عنوان الدين، عنوان الإسلام، وهي كما جاء في صحيح أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:

«لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة».

فالكعبة تمثل العنوان الخارجي للإسلام فما دامت الكعبة المشرفة قائمة يؤمها المسلمون في جموع كبيرة في حجهم، ويطوفون بها ويعظمونها ويتوجهون إليها في عبادتهم فالدين قائم.

كما أن الكعبة أول مظاهر الوحدة فهي إضافة إلى أنها قبلة المسلمين التي يتوجه إليها في كل يوم خمس مرات أكثر من مليار مسلم، تلخص عنوان دعوة الرسل إلى توحيد الله ووحدة المسلمين أي كلمة التوحيد ووحدة الكلمة ووحدة الموقف، وحتى تظهر هذه المشابهة بين الكعبة المشرفة ودعوة الرسل هو أن

الكعبة كانت ولا تزال أهم العوامل لقيام الناس في توحيد الله وتعظيمه وعبادته..

ففي الحج يجتمع المسلمون من أقطار الأرض حول الكعبة، حول البيت العتيق، الذي يتجهون إليه - كما قلنا - كل يوم خمس مرات، بل في كل فرض ومستحب ودعاء، البيت الذي يقصدونه بقلوبهم وأفئدتهم من خلال صلواتهم وهم في بلادهم الشاسعة البعيدة، هم الآن يجتمعون حوله ويرى بعضهم بعضاً، يتصافحون، ويتشاورون، ويتحابون، خلعوا تلك الملابس المختلفة والمتباينة من على أجسادهم، ووجدوا لباسهم، ليجتمع بياض الثياب مع بياض القلوب، فهو صفاء في صفاء، صفاء في ظواهرهم وصفاء في بواطنهم..

ولا بد من الإشارة إلى أن هذه الفريضة فيها من المعاني الروحية

التي لا تعطىها أو لا تتأتى لعبادة أخرى - وهي أيضاً من أسمى مظاهر هذه الفريضة - وأن تقديس تلك الأماكن المعظمة والاهتمام بها والتواجد فيها والاستزادة من معانيها ومضامينها له الأثر البالغ في تربية الحجاج وتطهيرهم وتوعيتهم.. وعلى رأس تلك الأماكن الشريفة، الكعبة المعظمة زادها الله شرفاً، فهي أول بيوت العبادة التي وضعها الله لعبادته:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢٧).

بعد أن بوأه الله تعالى لنبيه وخليفه إبراهيم عليه السلام:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (٢٨).

والله تعالى هو ربه:

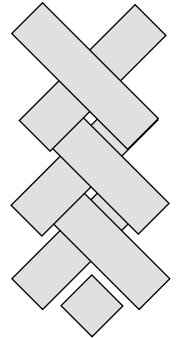
﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ *

الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (٢٩).

وهو صاحب هذا البيت دون غيره، وهي أي الكعبة أصل الأرض، كما في رواية عن أهل البيت عليه السلام:

«إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ بَيْتٍ وَضَعَهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ إِلَّا لَهُ رَبٌّ وَسُكَّانٌ يَسْكُونُونَهُ غَيْرَ هَذَا الْبَيْتِ فَإِنَّهُ لَا رَبَّ لَهُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ الْحُرُّ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَهُ قَبْلَ الْأَرْضِ ثُمَّ خَلَقَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِ فَدَحَاهَا مِنْ تَحْتِهِ».

«عَنْ أَبِي بَنِي عُثْمَانَ عَمَّنْ أَخْبَرَهُ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: لِمَ سَمِيَ الْبَيْتُ الْعَتِيقَ؟ قَالَ: هُوَ بَيْتٌ حُرٌّ عَتِيقٌ مِنَ النَّاسِ لَمْ يَمْلِكْهُ أَحَدٌ».



وقد راحت الأحاديث المباركة تبين أهمية الكعبة المشرفة وأنها أحبّ البقاع إليه تعالى، وراحت تربط الناس بالكعبة وتشدهم إليها عن طريق بيان ما للإنسان المرتبط بها بأي نوع من الارتباط، سواء في الطواف أو في غيره من الثواب العظيم، وقوة دافعة لثبات الموقف وتوحيد الصفوف. كما راحت هذه الروايات وغيرها عن أهل البيت عليهم السلام تؤكد بكل وضوح أن الترابط بينهم وبينها وثيق، ولا يمكن الفصل بينهما.

عَنْ زُرَّارَةَ، قَالَ: كُنْتُ قَاعِدًا إِلَى جَنْبِ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام وَهُوَ مُحْتَبٌ مُسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةِ فَقَالَ: «أَمَا إِنَّ النَّظَرَ إِلَيْهَا عِبَادَةٌ. فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَجِيلَةَ يُقَالُ لَهُ عَاصِمٌ بِنُ عُمَرَ فَقَالَ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: إِنَّ كَعْبَ الْأَخْبَارِ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ الْكَعْبَةَ تَسْجُدُ لِبَيْتِ الْمُقَدَّسِ فِي كُلِّ غَدَاةٍ.

فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: فَمَا تَقُولُ فِيمَا قَالَ كَعْبُ الْأَخْبَارِ؟
فَقَالَ: صَدَقَ الْقَوْلُ مَا قَالَ كَعْبٌ.
فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: كَذَبَتْ وَكَذَبَ كَعْبُ الْأَخْبَارِ مَعَكَ. وَعَظِبَ عليه السلام.
قَالَ زُرَّارَةُ: مَا رَأَيْتُهُ اسْتَقْبَلَ أَحَدًا بِقَوْلٍ كَذَبَتْ غَيْرُهُ.

قَالَ: مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بُقْعَةً فِي الْأَرْضِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهَا، ثُمَّ أَوْمَأَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْكَعْبَةِ وَلَا أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهَا لَهَا حَرَّمَ اللَّهُ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فِي كِتَابِهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثَلَاثَةَ ثَلَاثَةِ شَوَّالٍ لِلْحَجِّ شَوَّالٍ وَذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَشَهْرَ مُفْرَدٍ لِلْعُمْرَةِ رَجَبٍ».

فِي الصَّحِيحِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ:
«أَحَبُّ الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَكَّةُ وَمَا تُرَبُّهُ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ تُرْبَتِهَا وَلَا حَجَرٌ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ حَجَرِهَا وَلَا شَجَرٌ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ

رجب - ذوالحججة ٢٨ هـ - ميقات الحج ٢٨

شيء ما قرأته عن الحج

مِيقَاتُ الْحَجِّ

مِنْ شَجَرِهَا وَلَا جِبَالَ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ
مِنْ جِبَالِهَا وَلَا مَاءً أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ
مَائِهَا».

وفي النظر إليها جاء في الصحيح
عَنْ حَرِيْزٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:
«النَّظَرُ إِلَى الْكَعْبَةِ عِبَادَةٌ، وَالنَّظَرُ إِلَى
الْوَالِدَيْنِ عِبَادَةٌ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْإِمَامِ
عِبَادَةٌ». وَقَالَ: «مَنْ نَظَرَ إِلَى الْكَعْبَةِ
كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ وَمُحِيَّتْ عَنْهُ عَشْرُ
سَيِّئَاتٍ».

وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ جَعْفَرٍ
عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «النَّظَرُ إِلَى
الْكَعْبَةِ حُبًّا لَهَا يَهْدِيهِمُ الْخَطَايَا هَدْمًا».
وَرُوي أَنَّ «النَّظَرَ إِلَى الْكَعْبَةِ عِبَادَةٌ
وَالنَّظَرَ إِلَى الْوَالِدَيْنِ عِبَادَةٌ وَالنَّظَرَ
إِلَى الْمُصْحَفِ مِنْ غَيْرِ قِرَاءَةٍ عِبَادَةٌ
وَالنَّظَرَ إِلَى وَجْهِ الْعَالَمِ عِبَادَةٌ وَالنَّظَرَ
إِلَى آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عِبَادَةٌ».

وجاء في الصحيح عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ
عَمْرٍاءَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:
«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ حَوْلَ

الْكَعْبَةِ عِشْرِينَ وَمِائَةَ رَحْمَةٍ مِنْهَا
سِتُونَ لِلطَّائِفِينَ وَأَرْبَعُونَ لِلْمُصَلِّينَ
وَعِشْرُونَ لِلنَّاظِرِينَ».

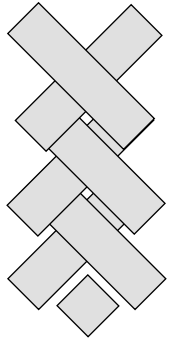
وعن الْحَسَنِ بْنِ رَاشِدٍ عَنْ
أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«إِذَا خَرَجْتُمْ حُجَّاجًا إِلَى بَيْتِ اللَّهِ
فَأَكْثِرُوا النَّظَرَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ، فَإِنَّ لِلَّهِ
مِائَةَ وَعِشْرِينَ رَحْمَةً عِنْدَ بَيْتِهِ الْحَرَامِ
سِتُونَ لِلطَّائِفِينَ وَأَرْبَعُونَ لِلْمُصَلِّينَ
وَعِشْرُونَ لِلنَّاظِرِينَ».

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْخَزَّازِ عَنْ أَبِي
عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:

«إِنَّ لِلْكَعْبَةِ لِلْحِظَّةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ
يُغْفَرُ لِمَنْ طَافَ بِهَا أَوْ حَنَّ قَلْبُهُ إِلَيْهَا
أَوْ حَبَسَهُ عَنْهَا عُذْرٌ».

وفي الترابط بينها وبين أهل
البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ولما لهذا الترابط والصلة
من جذب للناس نحوها من أهمية
ووقع على النفوس وما يستحقه
من الثواب جاء في الخبر عَنْ عَلِيِّ



بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:
 «مَنْ نَظَرَ إِلَى الْكُعْبَةِ بِمَعْرِفَةٍ فَعَرَفَ
 مِنْ حَقِّنَا وَحُرْمَتِنَا مِثْلَ الَّذِي عَرَفَ
 الأفراد أو على مستوى الأمة، قال الله
 تبارك وتعالى في محكم التنزيل:
 ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ
 رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ

لِللَّهِ عِلْمًا كَمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ
 الْبَنِيَّانَ لِلْحَجِّ الْمَحْرُومِينَ
 وَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ يَسِّرَ اللَّهُ
 لَهُمْ وَيُخْرِجَهُمْ مِنَ الْبُيُوتِ
 الْمُرْتَمِلِينَ

رجب - ذوالحجّة ١٤٢٨ هـ - ميقات الحج ٢٨

شيء ما قرأته عن الحج

مِنْ حَقِّهَا وَحُرْمَتِهَا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ
 وَكَفَّاهُ هَمَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
 كُلُّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ
 لَهُمْ ﴿٣٠﴾

هذا، وإن للحج أسراراً بديعة،
 وحكماً متنوعة، وبركاتٍ متعددة،
 ومنافع مشهودة، سواء على مستوى
 الحج ميدان فسيح يتدرب فيه
 الحاج عملياً على اكتساب الأخلاق
 الجميلة والآداب الحميدة على الحلم،

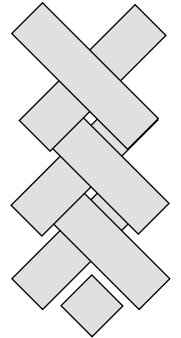
والصبر، والمداراة، وكظم الغيظ من جراء ما يلقي من الزحام، والتعب، والنصب سواء في الطريق إلى الحج، أو في الطواف، أو في السعي، أو في رمي الجمار، أو غيرها من المناسك؛ فيتحمل الحاج ما يلقيه من ذلك؛ لعلمه بأن الحج أيام معدودة، وخوفه من فساد حجه إذا هو أطلق لنفسه نوازع الشر، ولإدراكه بأن الحجاج ضيوف الرحمن؛ فأكرامهم، والصبر على ما يصدر من بعضهم دليل على إجلال الله عز وجل.

فإذا تحمل الحاج تلك المشاق في أيام الحج صار ذلك دافعاً لأن يتخلق بالأخلاق الجميلة ببقية عمره.

والحج يذكر أصحابه ومريده بالآخرة؛ فزدحام الناس وهم يموج بعضهم في بعض، وهم في صعيد واحد، ولباس واحد، وقد حسروا عن رؤوسهم، وتجردوا من ثيابهم، ولبسوا الأردية والأزر، وتجردوا من

ملذات الدنيا، ومتعتها، تذكر يوم حشرهم على ربه؛ فيبعثهم ذلك إلى الاستعداد للآخرة، ويقودهم إلى استصغار متاع الحياة الدنيا، ويرفعهم عن الاستغراق فيها، ويكبر بهمتهم ويتركوا كل ما يدعو إلى السوء والبغضاء وحب الأناء. فيقترب كل واحد منهم من محبة إخوانه الآخرين ويستغرق بعضهم في مودة بعضهم الآخر ويتم الاطلاع على مشاكلهم وحاجياتهم، وهذا مدعاة لحب الوحدة وتقوية الصف المسلم والساحة المؤمنة..

والحج يعد تجمعاً بشرياً ضخماً، يستقطب الملايين من المسلمين، من مختلف الأقطار والأمصار، فهو ينتج حركة بشرية هائلة، يتبعها تحرك اقتصادي ومالي ضخم، عن طريق النقل، والاستهلاك، وحمل البضائع وتبادل النقود، وشراء الأضاحي والحاجيات ومستلزمات الحج والإقامة



أحلامهم عند أتفه الأمور، كيف يكون اكتسابه؟ بتجنبه ما هم عليه من خلق لا يليق بآداب وأخلاق هذا الموسم.. فإذا رأى العاقل البصير سوء فعال هؤلاء انبعث إلى ترك الغضب، وتجافى عن مردول الأخلاق، ونأى عما هم عليه.

إذن، الحج إعداد وتربية لسلوك الفرد ونوازه بل هو إعداد وتربية لسلوك الجماعة ونوازهها، وبالتالي إعداد وتربية لسلوك الأمة ونوازهها، ففيه تتعود كل هذه المفاصل بدءاً بالفرد الحاج مروراً بالجماعة الحاجة فالأمة الحاجة، الصبر وتحمل المشاق وحسن الخلق بدءاً باللطف والتواضع واللين وحسن المحادثة مروراً بالكرم والتعاطف والتراحم، وانتهاءً بالامتناع عن الكذب والغيبة والجدال والخصومة والتكبر وغير ذلك.

والحج دورة ميدانية يتعود الإنسان

والسفر والتنقل، فينتفع العديد من المسلمين بذلك، ويشهد مجتمعهم حركة اقتصادية وتجارية ومالية نشطة يكون هذا سبباً في تعارفهم وتآلفهم وتعاونهم.

الحج مدرسة يتعلم فيها الحاج، يتعلم الكرم، والبذل، والإيثار، والبر، والرحمة، وذلك من خلال ما يراه من المواقف النبيلة الرائعة التي تجسد هذه المعاني؛ فهذا سخي يجود بالإنفاق على المساكين، وذاك كريم بخلقه يعفو عن أساء إليه، وأخطأ في حقه، وذاك رحيم يعطف على المساكين ويتلطف بهم، وذاك حلیم يصبر على ما يلقاه من أذى، وذاك برّ بوالده يحمله على عاتقه، وذاك يحوط أمه العجوز بلطفه ورعايته.

بل ويكتسب الإنسان الحاج الأخلاق الجميلة عند رؤيته من لا يدركون معنى الحج، وهم الذين يغضبون لأدنى سبب، وتطيش

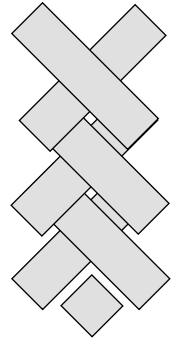
الحاج - فرداً كان أو جماعة أو أمة - الألفة والتعارف عن طريق السفر والاختلاط فتنمو لديه الروح الاجتماعية وتتهذب عنده الملكات الأخلاقية، كل هذا وهو يشارك في كل الممارسات التربوية، ويساهم في التفاعل البشري الرائع، الذي يشهده في الحج في حضره وفي سفره، في سكنه وإقامته وفي ترحاله وبأرقى درجات الالتزام والاستقامة السلوكية.

وقد تحدث الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن منافع الحج وفوائده، بإجابته البليغة عن سؤال أحد أصحابه، وهو هشام بن الحكم، فقد سأله: ما العلة التي من أجلها كلف الله سبحانه وتعالى العباد بالحج والطواف بالبيت؟

فقال عليه السلام: «إن الله خلق الخلق... وأمرهم بما يكون من أمر الطاعة في الدين، ومصالحتهم من أمر دنياهم،

فجعل فيه الاجتماع من الشرق والغرب ليتعارفوا ولينزع كل قوم من التجارات من بلد إلى بلد، ولينتفع بذلك المكاري والجمال، ولتعرف آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وتعرف أخباره ويذكر ولا ينسى» (٣١).

وقول الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام يتطابق مع تعليل الإمام الصادق عليه السلام وتحليله لمنافع الحج وآثاره الاجتماعية التي يجنيها الفرد والمجتمع حين قال: «إنما أمروا بالحج لعله الوفاة إلى الله عز وجل، وطلب الزيادة، والخروج من كل ما اقترف العبد، تائباً مما مضى، مستأنفاً لما يستقبل، مع ما فيه من إخراج الأموال، وتعب الأبدان، والاشتغال عن الأهل والولد، وحظر النفس عن اللذات، شاخصاً في الحر والبرد، ثابتاً على ذلك دائماً، مع الخضوع والاستكانة والتذلل، مع ما في ذلك لجميع الخلق من المنافع، لجميع من



لا يضام.. وهكذا هو الحج وهكذا هي مظاهره وهكذا هي معانيه ومفاهيمه وأثاره وعطاءاته... ﴿...وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٣٣).

إنه بحق خير فريضة وأعظم ميدان وأصدق ساحة تطبيقية لمبدأ التعارف الجميل الذي صدعت به الآية الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (٣٤).

في شرق الأرض وغربها، ومن في البرّ والبحر ممن يَحجّ وممن لم يَحجّ، من بين تاجر وجالب وبائع ومشتري وكاسب ومسكين ومكار وفقير، وقضاء حوائج أهل الأطراف في المواضع الممكن لهم الاجتماع فيه، مع ما فيه من التفقه، ونقل أخبار الأئمة عليهم السلام إلى كل صقع وناحية، كما قال الله عزّ وجل: ﴿قُلُوا لَا نَفَرٌ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (٣٣).

لقد شاء الله تعالى أن يكون الحج محرّاباً للعبادة... ومدرسة للتربية والتوجيه، وموسماً للمنفعة وتحقيق المصالح الاجتماعية.. وساحة مباركة لتوحيد الصفوف المؤمنة والأمة المؤمنة، بما ذكرناه مما فهمناه وعرفناه وقرأناه عنه.. لتنال بذلك حب الله تعالى ورضاه، ولتحقق ما تصبو إليه من خير عميم، وكرامة وعز

الهوامش

- ١٨) أنظر خطبة رسول الله ﷺ في السيرة النبوية ٤: ٢٥؛ حجة الوداع وفي غيرها من المصادر.
- ١٩) البقرة: ١٤٣.
- ٢٠) البقرة: ١١٠.
- ٢١) الأنشاق: ٦.
- ٢٢) البقرة: ٢٨٣.
- ٢٣) الصف: ٨.
- ٢٤) الأنفال: ٤٦.
- ٢٥) البقرة: ١٩٧.
- ٢٦) النور: ٥٥.
- ٢٧) آل عمران: ٩٦.
- ٢٨) الحج: ٢٦.
- ٢٩) قريش: ٣ - ٤.
- ٣٠) الحج: ٢٨، ٢٧.
- ٣١) راجع: وسائل الشيعة.
- ٣٢) وسائل الشيعة ٨: ٧.
- ٣٣) التوبة: ٧٢.
- ٣٤) الحجرات: ١٣.
- ١) البقرة: ١٩٩.
- ٢) البقرة: ٢٠٠.
- ٣) انظر أسباب النزول للواحدى: الأيتان.
- ٤) الحج: ٣٢.
- ٥) آل عمران: ٩٧.
- ٦) الحج: ٢٥.
- ٧) انظر: نهج البلاغه، مما كتبه لمالك الأشر.
- ٨) الحجرات: ١٣.
- ٩) الحج: ٢٨.
- ١٠) الإسراء: ٤٤.
- ١١) آل عمران: ١٠٣.
- ١٢) الحجرات: ١٠.
- ١٣) الأنفال: ٦٣.
- ١٤) الأنفال: ٣٦.
- ١٥) الحج: ٢٨.
- ١٦) المائدة: ٩٧.
- ١٧) البقرة: ١٢٥.

